تاريخ نقد التّرجمات في الجزائر
Translation's criticism history in Algeria

أ.فطيمة ياسمينة بريهوم[I]

أ.ياسمين قلو [II]

الرّقم التعريفي للمقال: DOI: 10.33705/1111-014.002.002

تاريخ الاستلام: 10/ 2020/06 تاريخ القبـول: 29 / 03/ 2021

ملخّص: يحاول هذا المقال أن ينير، بعض المحطّات المهمّة في تاريخ نقد التّرجمات في الجزائر. ليجعلها تأسيسا لهذا الفرع من النّقد. ولتحقيق ذلك اِنطلق من نظريّة القديس أوغسطين، بغية إرجاعه إلى عقر داره، ومحاولة جعل ممارسته النّقديّة تأسيسا لنقد التّرجمات في الجزائر. وفي خطوة ثانية تتبّع المقال، بعض التّجارب في الفترة الاِستعماريّة، كابن شنب، ورضا حوحو. وفي الأخير، أحصى بعض التّجارب من العصر الحديث، وذلك، بما اِتّضح من ممارستها النّقد على تجاربها في الترجمة.

فما هي حقيقة هذه التّجارب التي يطمح هذا البحث أن يكرّسها في التّأريخ للتّرجمة ونقد التّرجمات في الجزائر؟

كلمات مفتاحيّة: أوغسطين؛ نقد التّرجمات؛ نظريّة؛ إرجاع.

Abstract: This paper treats the primordial subject in translation which is criticism. Firstly, it deals with redistributing translation's heritage, by bringing back saint Augustine to his home. His translation's theory is considered among the earliest theories in the world. Secondly, it makes some clarifications on the effect of the colonization period on the translation and translation's criticism involvement. At the end, the article demonstrates that, some experiences in criticism are pioneers in this field like what Ibnchenb and Ridha Houhou had done in the Algerian translation criticism. From a concrete Algerian translation's criticism vision, the paper deals with reconsidering and undergirding those models

Keywords: Augustine; theory; translation's criticism; redistribute.

تمهيد: يهتمُّ نقد التّرجمات بتصفية المعارف التي تمرّ على كاهل التّرجمة والمترجمين؛ بما أنّه الأداة التي تحدّد بؤر تأثير هذه المعارف في الثّقافات الأصل، ومدى مقاومة هذه الأخيرة للتّحديّات الثّقافيّة التي تحاول الهيمنة عليها. كما يسهم هذا الفرع من النّقد في لفت اِنتباه المترجم إلى تطوير مهاراته وفاعليته المعرفيّة والتّقنيّة، وتثمين الحلولَ التي توصّل إليها، والناتجة عن التّداخلات الثّقافيّة واللّغوية. ثم إنّ إبراز معالم قوّة المترجم وضعفه في وساطته اللّغويّة، وإسهامه في مدّ ثقافته ولغته بالجديد الذي يطعّمها وفق حاجاتها الاصطلاحيّة والمفاهيميّة لخاصيّة أخرى لنقد التّرجمات. فهل اِستطاع نقد التّرجمات مسايرة التّرجمة وترشيد دور

[I] عبد الحفيظ بوالصوف، الجزائر، bryasmine@yahoo.fr (المؤلف المرسل)

[II] الجزائر2، الجزائر، yasminekellou1@yahoo.fr

النّقاد في الجزائر؟ وماهي وسائل التّرشيد إن وجدت، وما معوقات هذا النوع من النّقد، في ظلّ غياب اِستراتيجيّة شاملة تهتّم بالتّرجمة ونقدها، في السّياسة اللّغويّة والبحث العلميّ في الجزائر؟

وقبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال المركب، يتطلّب الأمر أن نحدّد اخِتيارنا نقد التّرجمات، بالجمع وليس نقد التّرجمة، بالمفرد وذلك اِستنادا إلى توضيح الفرق بين المصطلحين:

1. نقد التّرجمة ونقد التّرجمات: يطلق "نقد التّرجمة" على نقد البحث النّظريّ في التّرجمة، كما يصوغه هذا التّعريف باللّغة الإنجليزيّة:

« Translation criticism is the systematic study, evaluation, and interpretation of different aspects of translated works. It is an interdisciplinary academic field closely related to literary criticism and translation theory ».

(https://ipfs.io/ipfs/QmXoypizjW3WknFiJnKLwHCnL72vedxjQkDDP1mXWo6uco/wiki/Translation_criticism.html)

"إنّ نقد الترجمة هو منهجيّةُ دراسةِ وتقييمِ وتأويل مختلف مظاهر العمل المترجم. وهو حقل أكاديميّ متداخل التّخصصات يُعنى بنقد الأدب وبنظريّة التّرجمة بوجه خاص"(ترجمتنا). إذا كان هذا تعريفا شبه شامل لنقد التّرجمة، فإنّ "نقد التّرجمات" يُعنى بنقد نتيجة عمليّة التّرجمة، ومدى مقبوليّتها. إنّ الفرق بينه وبين نقد التّرجمة يدعمه هذا التّعريف الذي يحصر نقد التّرجمات بأنّه "نقدُ النّص النّهائيّ" (بوخال:2013، 65). وبهذا التّوضيح يُرفع الغموض الذي ينتشر، في أدبيّات النّقد التّرجميّ: "فهذا الإزدواج في المعنى (بين نقد الترجمة ونقد الترجمات) قد يسبّب بعض الإلتباس على الباحث في النقد التّرجمي" (المرجع نفسه). إنّ هذا المصطلح يكرّس الفصل بين المصطلحين، ويزيد من الدقّة التي تفرضها العودة إلى اللّغة الأصل، أو كما يقول بوخال دائما: "الحسم في تبيين الإختصاص يقطع الطريق أمام أيّ فهم خاطئ. واِستعمال الجمع جاء ليتميشى مع ترجمة مصطلح la critique des traductions.". (بوخال:2013، 65)

اِبتدع أنطوان برمانAntoine Berman نقد التّرجمات كفرعٍ جديد في النّقد الأدبيّ كما يتضّح في مقاربته، وهي مقاربة سبقت إليها كاترينا رايسKatharina Reiss على نحو ما نقرأ في كتاب « Pour Une Lecture Critique Des Traductions » لصاحبته Mugureş Constantinescu:

« […] la critique des traductions, proposée par Katharina Reiss en Allemagne dans les années 70 et par Antoine Berman en France vers les années 90 comme discipline à part entière…». (Mugurus.2013 : 13)

وإذا كانت رايس تضع معالم طريقة في النّقد تبنيها على نظريّة السكوبوس، فإنّ برمان، سعى إلى تأسيس فرعٍ جديد في النّقد الأدبيّ، هو "نقد التّرجمات" كما اِرتسمت معالمه في كتابه: Pour une critiques des traductions: John Donne). ومن ثمّ، الوصول بنقد التّرجمات إلى أن يكون عمليّة محوريّة تقيس مدى مقبوليّة التّرجمات، للحرص على مرور سليم للمفاهيم، وحفظ اللّغة لخصائصها، وقبول "غرابة" الغريب، والإبتعاد عن محو خصائصه، كما حدّد ذلك في ما أسماه تحليليّة التّرجمة (Analytique de la traduction) القائمة على ثلاثة عشر معيارا تقيس سلامة التّرجمة، ونذكر منها تمثيلا لا حصرا: التّطويل(Allongement)، والتّوضيح (Clarification)، والإفقار النوعيّ(Appauvrissement qualitatif) ...إلخ وتبحث جميعا، في ما يسميه برمان، المناطق الإشكالية عن "لغة التّرجمة". إنّ هذه اللّغة في الحقيقة تعود إلى البحث عن "اللّغة النّقيّة" التي سبق وقال بها أستاذه والتر بن يامين.

فهل يمارس الحقل التّرجميّ في الجزائر هذا النّقد؟ سنحاول للإجابة على هذا السّؤال بتتبّع تاريخ التّرجمة في الجزائر، بما أنّ النّقد كثيرا ما لا يكون واضح المعالم، إلاّ في القليل النادر، وحتى إن وجد في المؤلفات القديمة، فإنّه يكون ملتبسا بأدوات نقديّة غير هذه التي ينزع "نقد التّرجمات" إلى نشرها.

2.نقد التّرجمات في الجزائر: عرف تاريخ الجزائر القديم والحديث التّرجمة بشقيها الشّفهيّ والمكتوب، في التّعاملات والمراسلات كالاتّفاقيّات والمعاهدات؛ وفي التّبادل التّجاريّ والثّقافيّ، والحروب، وفي المعاملات والعقود، ومعاهدات الجزائريين مع غيرهم من الشعوب شاهدة على ذلك منذ القديم. فقد كانت مملكة نوميديا، أرض التّعدّد اللّغويّ، كما تؤكّد ذلك كتابات القديس أوغسطين، ويوبا الثاني، وأبوليوس...وغيرهم. فما هي مظاهر نشاط التّرجمة، ونقد التّرجمات في تلك الأزمنة السّحيقة؟

1.2.التّرجمة ونقد التّرجمات في نوميديا: تأثّر البربر بالثّقافات التي اِحتكّوا بها، كما أثّروا في ثقافات هذه الأمم؛ إذ نقل الرّومان عن الثقافة البربريّة كتبا في الزراعة كُتبت باللّغة البونيقيّة: "...ومن التآليف التي ولدت من هذا الخط البونيقيّ نذكر مثلا: رحلة حنون ورحلة عملقون وكتاب ماغون في الفلاحة الذي ترجم بعدها إلى اليونانية واللاتينية"(بليل، 2017: 17) وهو ممّا يؤكّد ممارسة للتّرجمة عن اللّغة البونيقيّة. ولعلّ هذا النّشاط التّرجميّ وكلّ ما تعلّق به كالنّقد، قد كان واقعا في الحياة الثّقافية في نوميديا، ويدعم اِحتمالنا هذا تأثير القديس أوغسطين في الثّقافة الغربيّة، كما نستشفّ ذلك، من آرائه في التّرجمة الثاوية في مؤلفاته الفلسفيّة والدينيّة، وفي تنظيراته التي تأثّر فيها بثقافات أخرى. فيعتبرّ الكثير من المؤرخين سان أوغسطين (354ق.م–430ق.م) صاحب منهجيّة رائدة في التّرجمة، بالاِعتماد على آرائه اللّغويّة والفلسفيّة بشأن العلامة، وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، ومفهوم الدلالة، وعلاقة اللّغة بالزمن، حتى عدّوه أبا لعلم اللسان، بله اِعتبار أرائه اللّسانيّة بمثابة الأسس والجذور الأولى لطريقة في التّرجمة تقوم على خواص الكلمة ووظيفتها التّمثيليّة، على الرغم من قلة الاِهتمام بالبنيات؛ مثلما يعتقد لويس كيلي:

« Louis Kelly estime qu'il y a chez saint Augustin les fondements d'une première méthode de traduction. Elle repose sur les caractéristiques du mot et sa fonction de représentation, sans trop se préoccuper des structures » (Ballard :52)

اِستوحى أوغسطين ملامح تنظيراته من النّظرة الأرسطيّة للعلامة بصفتها الاِعتباطية، وما يترتّب عن اِعتباطيتها تلك، من اِختيارات بحسب درجة معرفة المترجم بمادته أو درجة غرابتها عنه.

أمّا منهجه في التّرجمة، فيتجلّى في القواعد التي وضعها للتّرجمة الجيّدة، بحرصه على ترجمة المعنى؛ مبتعدا عن التّرجمة الحرفيّة التي تحدث الخلط والبلبلة في الأفهام، مثلما كان يرى، ولا سيما وأنّ الحديث عن التّرجمة عند أوغسطين متعلّق أساسا بترجمات النّص المقدس: "غالبا ما تكون هذه الترجمة الحرفية ليست إعاقة للفهم فحسب، بل إثارة لمشاعر أولئك القراء الذين يستمتعون بالمضمون أكثر عندما تنجح الصيغة اللفظية في الحفاظ على نوع من الصفاء والنقاوة" (لوفيفر:2011، 50). كما جعل من إتقان اللّغة الأجنبيّة دورا مهمّا لأيّ ترجمة مثلى، فإنّ تمكّن المترجم من اللّغة، في رأيه، يسمح له بإيجاد الاِختيارات المناسبة للمعاني، إذ يقول إنّ: "معرفة اللّغات الأجنبية ضرورية للغاية لأن ترجمات النص الواحد تختلف من شخص إلى آخر كما أشرت سابقا... "(المرجع السابق:49). إنّ عدم اِتقان المترجم اللّغة التي تمكّنه من اِستكناه المعنى الحقيقيّ، حتما،

سيأخذ به إلى مجانبة النقل الصحيح للمعاني، ولذلك، ينصح القديس أوغسطين، بالإكتفاء بالتّرجمة كلمة بكلمة، حتّى إن اِعتراها الغموض، فهو، في رأيه، أحسن من تحريف المعنى المقدّس، وخاصة أمام الإشكالات التي تفرضها اللّغة العبريّة.

« Devant les difficultés de l'hébreu, saint Augustin réclamait le droit d'être obscur et de révéler par une double traduction le double sens du texte ». (Ballard: ibid).

على هذا الأساس يجيز أوغسطين الحق في الغموض أو التّرجمة الثانية التي تكشف المعنى الثاني للنّص، وذلك عن طريق التّرجمة كلمة بكلمة: "وبالطبع، فهذه الترجمات الحرفية غير كافية، ولكن يمكن أن تفيدنا في تبيان إذا ما كانت الترجمات التي يراد ترجمتها طبقا للمعنى أكثر من الطريقة التي تصاغ بها الكلمات سواء كانت صحيحة أم خاطئة"(لوفيفر :50).

وتظهر ممارسة أوغسطين لنقد التّرجمات في رسالته المكتوبة إلى القديس جيروم حوالي 392 "ظهرت المؤاخذات التي سجّلها على ترجمة مقطع على غير ما تعوّد يترنّم به، سبّب البلبلة بين جمهور المصلّين (لوفيفر: 50). وفي هذا دليل على حرص أوغسطين على ملاحقة التّرجمات وحلّ معضلاتها؛ فقد تعقّب مشكلاتها، كانعدام المكافئات اللاتينيّة لبعض الألفاظ والمعاني العبريّة والتي اِختار "الاقتراض" كحلّ لها، كما طرق تباين الدلالة من لغة إلى أخرى، ف "اصطدم سان أوغسطين باستحالة بعض المكافئات البيلغويّة؛ إذ لاحظ اِنعدام وجود مكافئات لاتينيّة لبعض الكلمات العبريّة. مفضّلا الاقتراض نظرا لهذا النقص، كما أدرك الدلالات المختلفة..."(ترجمتنا):

« Augustin s'est heurté à certaine limites de l'équivalence interlinguistique. Il a perçu que certains mots hébreux n'avaient pas d'équivalent latin, il en prône l'emprunt. Il a également conscience des connotations différentes de certains termes… » (Ballard :53)

ويكون بذلك قد دشّن طريقة ناجعة في التّرجمة واِقتراح البدائل الضروريّة، حينما ينعدم التّكافؤ اللّغويّ بين اللّغات، ولم يتحقّق ذلك إلاّ بممارسة نقديّة، سيفتقر إليها نقد التّرجمات في الجزائر في العصور اللاحقة.

3.نقد التّرجمات في العهد الإسلاميّ: تبوّأت التّرجمة، من خلال تعاملات البربر والعرب في حروب الفتح وما تلاها، دورا محوريّا في علاقتهم ببعض. وسنحاول أن نلج هذا من خلال طرح بعض الأسئلة عن مفاوضات ديهيا وحسان بن النعمان كمثال عن ضرورة التّرجمة كأن نسأل أيّهما تكلّم لغة الآخر؟ هل أتقنت ديهيا مزدوجة الثّقافة (البربريّة واللاّتينيّة) لغة العرب؟ أم كان لحسّان مترجمون يتقنون لغة البربر؟ أم إنّ طبيعة الحرب الطويلة بين الطرفين، مكّنتهما من أن يكوّنوا مترجمين متخصّصين؟

لا تسعفنا المراجع بإجابات قطعيّة عن ممارسة التّرجمة في هذه الفترة، وسوف لن نعرف إلاّ بعد اِنتشار الإسلام، أنّ الاِنتقال اللّغويّ بين الطرفين، أدّت فيه التّرجمة دور الوسيط الذي نقل تعاليم الإسلام، وشرائعه في البلاد، "فكلّ الوثائق في هذه الحقبة، ترجمت أصلا من العربيّة وبعضها أعيد ترجمتها من الأمازيغية إلى العربيّة[...] وكان الهدف من الترجمة توصيل معالم الدين الإسلامي[...] لذا كانت المواضيع الدينيّة تتصدر كلّ هذه الوثائق المكتوبة" (عزيري: 2014، 27).

ولعلّه من البديهيّ، أن نعتبر إرساء توجيهات الدين وشرحه عن طريق الحديث الذي يتضمّن الكثير من مفاتيح الفهم للنّص، يكون قد تمَّ عن طريق مترجمين، فقد عرفت الجزائر، ترجمات كان موضوعها غالبا الإرشادات الدينيّة، وتعاليم الدين الصحيحة، فترجم اِبن تومرت كتابين هما "المرشدة" و"التوحيد" إلى الأمازيغيّة كما "أنجز ابن تومرت[...] عدّة مؤلفات وبحوث حول "الإسلام الصحيح" وكان يكتب بالعربيّة ثم يترجم بنفسه بعض أعماله إلى الأمازيغيّة، ومن بينها "المرشدة" و"التوحيد"(عزيري: 28). للأسف لن نجد إلاّ نقدا حديثا لترجمة "الحوض" و"بحر الدموع"، هو "نقد محمد أوعلي وإبراهيم الأوندزالي: اللّذان اتّبعا طريقة "اقتناء مقتطفات من العربيّة ونقلها إلى الأمازيغيّة" غير أنها ترجمة لم تثرِ الأدب الأمازيغيّ: "لا بأصالة الفكر ولا بقيمة الأسلوب، فكتاب حوض الدموع من النوع التّطبيقيّ، وهو عبارة عن ترجمة مختصرة جدّا[...] من مختصر سيدي خليل [...] وبحر الدموع من النوع النظري يعالج موضوع اللاهوت [...]" (المرجع السابق). وقد يكون سبب هذا الإفتقار إلى مراجع مترجمة أو مؤلفات تعالج مشكلات التّرجمة، راجعًا إلى أن الأمازيغ تبنّوا اللّغة العربيّة وكتبوا بها، وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى التّرجمة عنها وهي التي لم تكن لغة مقننة آنذاك، حيث كانت لغة التّواصل الشفويّ لا لغة كتابة. وربما يعود أيضا إلى طول الزمن واِندثار مراجع كهذه.

بعد هذه الفترة، لن تظهر المُترجمات، إلاّ في المعاهدات والمواثيق، وأقربها منّا زمانيا، هي تلك المعاهدات المتبقيّة من الفترة العثمانيّة التي تعاقدت وتعاملت مع دول كثيرة، وربما عرفت هذه المواثيق اِنحرافات وربما أُنتقدت، بعد ظهور التّناقضات بين الأصل والوصل، ولكنّ، ذلك لن يكون شغلا شاغلا للمترجمين، ولا لنقّاد، كانوا سيستطيعون مراجعة واِصلاح التّرجمات.

4.الإستعمار الفرنسيّ والتّرجمة: تميّزت الفترة الإستعماريّة بتدوين التّرجمات الوثائقيّة والقانونيّة والأدبيّة، وهي بذلك، تتيح التّأريخ للتّرجمة ونقدها في الجزائر.

وأيّ حديث عن التّرجمة في هذه الفترة سيبدأ من كون التّرجمة كانت ركنا أساسيّا في اِحتلال الجزائر، فلم تتحرّك الحملة الفرنسيّة على شواطئ الجزائر، إلاّ مدعّمة بضبّاط ترجمانيين خصّصت لهم الرّتب والألبسة والمعاش و"ضمّت القائمة المتوجّهة إلى الجزائر هذه الأسماء: جيراردان ودوبينيوسك، والأب السوريّ الأصل شارل زغار، وبراسِيفيتش وهو مترجم سابق لنابليون، ويعقوب حبايبي الذي كان ضابطا ومترجما" (بليل: 39).

وبنجاح الحملة عرفت الجزائر المطبوعات مع أوّل وثيقة ترجمت، ممثّلة في النداء الذي كُتب للأهالي يعرض عليهم السّلم: " [...] وقام بكتابته الأب زكار ودي ساسي وكان أوّل ما قرأه الجزائريون مطبوعا بحروف عربية باللّغة الدارجة العامية"(المرجع السابق:120). وسرعان ما ظهرت الإنحرافات التّرجميّة في المراسلات والوثائق التي اِستعملها قائد الحملة، فصار نقدها ضروريّا، لا سيما وهي تتناقض مع المعاملات التي كان يراها الأهالي:

أ-ترجمة المعاهدات والإتّفاقيات: إنّ أوّل وثيقة مترجمة طالها النّقد هي نص معاهدة الإستسلام التي وقّعها داي الجزائر، ولم تنشرها السّلطات العسكريّة، وقتها، لما اِكتنفها من تناقض وأخطاء: "فما حرصت السّلطة الفرنسية أن ينقل من الفرنسية إلى العربية كان ينحصر في القرارات الرسمية والإجراءات القانونية والصحية والنصائح المتعلقة بالفلاحة وتربية المواشي والأخبار المضادة للإشاعات الثورية" (بليل: 120). ولذلك فإنّ الصراع العسكريّ، سيكون مسرحا للتّرجمة تشهد عليه تلك الأحكام، والمعاهدات؛ التي اِكتنفتها الأخطاء، سواء

أعن قصد أم جهل. وصاحبتها نقاشات كثيرة فرضت على الإدارة العسكريّة تكوين المترجمين، بعد أن أثبت الواقع أنّ المترجمين الذين رافقوا الحملة تعوزهم الحِرفيّة، وأخلاقية التّرجمة وأمانتها. أنشأت الإدارة العسكريّة إذًا، مدارس لتكوين المترجمين، يجتازون اِمتحانات مترجمين "شفويين من الدرجة الأولى". وتضمّنت اِمتحانات اِلتحاقهم بالتكوين: "ترجمة شفوية فرنسية عربية وعربية فرنسية، مع سرد حدث أو تحليله، أو عرض معلومات إدارية". و"قراءة وترجمة نص كتابيّ وشفويّ من العربية إلى الفرنسية" و"الترجمة التحريرية من الفرنسية إلى العربية"(بليل:50). وهكذا اِزدهرت، بعد هذا التّكوينات، حركة ترجميّة حثيثة، فقام "طالب بن نجاد الذي "شغل منصب مترجم شفوي في 1855 "بنشر عدة حوارات باللّغتين"(بليل:112) كما ترجمت كُتبٌ إلى الفرنسيّة، لعلّ أشهرها: "السمرقندية في البلاغة لعبد الرزاق الأشرف في1905 و"العروض عند العرب لابن إبراهيم ونشرت بباريس في 1907 وكذلك حكايات وتقاليد وأشعار فقيق للهاشمي بن محمد وحكايات جحا من طرف محمد زروقي"...إلخ.

غير أننا لم نجد، في حدود ما توصّلنا إليه من مراجع، نقدا لهذه التّرجمات، عدا الجملة والجملتين من المتفرّقة هنا وهناك. صحيح أنّ هذا لا يشجّع على اِعتبارها نقد ترجمات، لكنّه لا يمنع، أيضا، عندما نسعى إلى جمع تاريخ فرع ما، أو حركة فكريّة أو ثقافيّة، من الوقوف على كلّ التّجارب، مهما اِبتعدت عن نشاط الحركات الكبرى، لا سيما في فترة الاِستعمار، حيث ضعف التّعليم والأدب. بناء على هذا نعتبر هذه الاِنطباعاتِ اِرهاصاتٍ لنقدَ التّرجمات، بما أنّه نقد قام على المقارنة، لاِستخراج اِنحرافات المترجمين:

ب- نقد ترجمات رسميّة: ويتحدّد في المقارنات التي وقفنا عليها في كتاب "الترجمة في الجزائر أثناء الاِحتلال الفرنسيّ 1830-1930" وهي مقارنات تقوم على مقابلة الأصل والوصل، لتؤكّد أهميّة ودور نقد التّرجمات ومراجعاتها في كشف ما يقع من اِنحرافات في هذه المواثيق بسبب الفهم الخاطئ أو العكسيّ، لجهل أو لقصد كما وقع في "**معاهدة دي ميشيل**" حيث ترجمت هذه المعاهدة الهامة بين الأمير عبد القادر ودي ميشيل من الفرنسيّة إلى العربيّة ومن الفرنسيّة إلى الإنجليزيّة، كما يذهب محمد الصالح بكوش في قوله: "وسنحاول أن نرى مدى دقة التّرجمة بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، (ونعلّق على الترجمة إلى اللّغة الانكليزية) " (بكوش:339) :

-الأصل: أمير المؤمنين

-(الفرنسيّة): prince

-التّعليق: ترجمت حرفيا كلقب في النظام الملكيّ والمقصود هو قائد أو رأس المؤمنين (commandeur des croyants)

وكذلك في هذا المثال:

الأصل (العربيّة): أمير المؤمنين لازم يرسل من عنده ثلاثة قناصل واحد

التّعليق: نقلت هذه الجملة هكذا (سيقيم ممثّلو الأمير في وهران ومستغانم وأرزيو... ويقيم الضباط الفرنسيون في معسكر:

Les représentants de l'Emir résideront à Oran, Mostaganem et Arzeur…Les officiers français résideront à Mascara.(المرجع السابق)

ف "قدّم كوكيبو (Cockeapot) اِنتقادات لهذه المعاهدة والتي تمثّلت في الملاحظات التالية: "وردت كلمة "الممثلون"،[للأمير] في النّص الفرنسي وكلمة "قناصل" في النّص العربي، وجملة "بين الشعبين اللذين قدّر الإله أن يعيشا تحت سلطان واحد".

Entre deux peuples que Dieu a destiné à vivre sous la même dimension.

في النّص الأصل مقابل "بين شعبين اللذين بحكم الله قدّر لهما أن يعيشا تحت سلطة واحدة"

Entre deux peuples qui, par décret d'Allah sont destinés à vivre sous la même autorité. (ibid :343)

ويتجسّد نقد التّرجمات في اِتّهام النّقاد للمترجمين: "كان كوكيبو قد ألصق التهمة بالمترجمين فقال إنّ مستوى براهيمشة سيّء لأنه استعمل كلمة (فالطة) الإيطالية في النّص العربي، وغالط اليهوديان عمار وبوشناق دي ميشال لأنّهما صاغا المعاهدة بتلك الطريقة" (المرجع السابق).

إنّ هذا النّقد لترجمة المعاهدة قام على المقارنة، فاستخرج الاِنحرافات والأخطاء، أو ما أسماه الناقد بالتّأويلات الخاطئة، وهو نقد على قلة اِسهابه، فيه من الموضوعيّة والإلمام بالنّقد في التّرجمة.

كما عرفت "**رسالة الأمير عبد القادر إلى وزير الحرب الفرنسي**" نقدا من خلال مقارنة الأصل بالوصل في رسالته للوزير من ترجمة دي ميلي، فسجّل محمد الصالح بخوش الملاحظات التالية:

-"الرسالة لم تحافظ على القواعد النحوية والصرفية ولا الصياغة السليمة ممّا يؤكد أنّها ليست من صياغة الأمير".

-"استعملت بعض الكلمات الفرنسيّة في النّص العربي بالحروف العربيّة، مثل ليوطنان (ملازم أول)، وأيد دو كان (مساعد رئيس المعسكر)" (بكوش:360)

بعد هذه المقارنات، خلص النّاقد، إلى حكم مفاده أنّ ترجمة دي ميلي "غير دقيقة لأنّه قدم بعض المعاني المخالفة لما قصده الكاتب، وطبعا هذا يعدّ تحريفا يمس بسمعة الكاتب العادي، ويكون الأمر أخطر إذا كان يتعلق بشخصية وطنية مثل الأمير عبد القادر... " (المرجع السابق: 362). وفي هذا ممارسة نقديّة جليّة.

ج.نقد التّرجمات الأدبيّة: إنّ الصّحف، وما تعرّضت له من وقف، هي المنبر الذي عرف نقدا للتّرجمات بتحديد "أخطاء المترجمين"، لا سيما وأنّ ما اِقترفوه من "اِنحراف عن المعنى" سبّب سجن بعضهم، وكان وراء وقف الجرائد، كما حدث مع الزاهري، بسبب مقالته "المساواة بين فرنسوا والرشيد إذ يقول مفسّرا السّبب: "كان من أسباب التعطيل أن المترجم ترجم عنها كلمة النهضة بكلمة فرنسية معناها الثورة، وترجم كلمة فرنسا الظافرة المنتصرة بمعنى فرنسا الظالمة الغاصبة" (بليل:161).

ويتكرّر الحادث، بتكرّر نقد التّرجمة الخاطئة مع أبي اليقظان كما يتحدّث عن توقيف جريدته: "وقد بلغنا أن سبب تعطيلها يرجع إلى سوء ترجمة المقال من بعض الجهلاء المترجمين إذ كتبنا مقالا تحت عنوان" خطاب خطير لرجل خطير، ونحن نعني خطاب الوالي العام فترجم العنوان هكذا خطاب خطير لرجل مشوش"(المرجع السبق: 165).

فهذه الإنطباعات، كما ذكرنا أعلاه، هي اِرهاصات لنقد التّرجمات، سواء مورست من قبل عيون المستعمر وآلته القمعيّة، أو ما تمكنّا من اِستنتاجه من خلال الجهود التي قام بها بعض المترجمين، كما نجد في أعمال

اِبن شنب وغيره ممّن نقّحوا أعمالا سابقة، فإصلاح عمل ما، يؤكّد نقدا ضمنيا، فلا بّد أن صاحبه لاحظ نقائص في التّرجمة أو اِنحرافات، لا محالة. وإلاّ ما أقدم على ترجمة جديدة، كما تؤكّد تجربة اِبن شنب التّرجميّة.

فقد أتقن اِبن شنب الفرنسيّة إلى جانب العربيّة وعدّة لغات أوروبيّة. وترجم إلى الفرنسيّة أعمالا كثيرة، بعد أن اِفتتح ترجماته: "[...] بنشر النّصوص العربيّة الأدبيّة التي أصدرتها كليّة الآداب بالجزائر في سلسلة تحمل عنوان بيبليوتيكا أرابيكا"(بعلي:194). ومن ترجماته أيضا الكثير من الدواوين الشّعرية، والمؤلفات إذ إنّه: "نشر ديوان الحطيئة، وديوان مزاحم العقيلي، [...] كما نقّح معجم اِبن سديرة سالف الذكر، ومعجم المستشرق باسي" (المرجع السابق:195). إنّ اِهتمام اِبن شنب بإصلاح هذه القواميس، وتقديمها في صورة جديدة، هو في رأينا، دليل على ممارسة نقديّة ضمنيّة، لعلّ من واجب البحث الاِهتمام بنقدها والوقوف على مدى مقبوليتها. وهو ما يجعلها تنضوي تحت اِهتمام نقد الترجمات.

ولن تذكر هذه الحقبة دون جهود أحمد رضا حوحو الذي يصنّفه الكثير من الباحثين رائدا في التّرجمة، كما يوثّق لذلك أحمد شريبط حين يؤكّد إعادة محمد أبو القاسم كرو نشر أعمال حوحو بعد اِغتياله البشع من طرف الاستعمار في 1957: "فقد أصدر في عام 1957 تذكارا خاصا به يتألف من اِثنين وثلاثين صفحة من الحجم الصغير (16) ضمنه فصولا من سيرته الحياتية والأدبية ونشاطه بصورة أخص، وأعاد نشر ثلاثة نماذج من أعماله الأدبية، وهي: "التلميذ" وهي قصة مترجمة عن اللغة الفرنسية... "

(https://www.djazairess.com/alahrar/120548)

وقد عرفت ترجمات رضا حوحو نقدا غالبا ما يشحن بالحماس إلى كلّ ما هو وطنيّ، لا سيما إبّان الفترة الاِستعماريّة، لكنّنا نجد بعض الموضوعيّة في ملاحظات خرفي حين يقول إنّ حوحو: "أوتي المقدرة التي تؤهله لهذا المستوى الرفيع من الترجمة فقد جمع اللغتين بقدرة واقتدار، الفرنسية أولا، فالعربية ثانيا. وعودته إلى اللّغة الأم بالصورة التي تعرضنا لها، تجعل عودته إلى اللّغة الأجنبية، عودة اليد العليا، والنقل المأمون العواقب والتعريب الرشيد البصير، والترجمة القادرة والمقتدرة، لغويا وإبداعا وذاتية ثابتة" (خرفي:1992، 82). كما يتعرّض خرفي إلى قصيدتين ترجمهما حوحو فيقول: "والقصيدتان [...] تدلان على نفس مؤهل لهذه الترجمة الإبداعية عنده ولو اِستمرت هذه لأعطتنا فيما أعطتنا من تراث الأديب الراحل. وجها إبداعيا"(المرجع السابق). وعلى ما تتضمّنه هذه الملاحظات من عبارات نقديّة، فهي في رأينا، تتوسّل النّقد الأدبيّ، ولا تقف على المقارنة، لتتبّع الأمانة ومواطن الخيانة.

5. **نقد التّرجمات المتخصّصة:** وتمثّله تجربة مرجعيّة في التّرجمة من العربيّة إلى الفرنسيّة والعكس وهي تجربة "مرسييه" الذي يؤرّخ كتابه المترجم من قبل حسين خمري إلى العربيّة بعنوان "الترجمة في الجزائر" لتعامل الاِستعمار مع التّرجمة، كما تتجسّد بين صفحاته ممارسة نقديّة للتّرجمات القانونيّة بين العربيّة والفرنسيّة والعكس من جهة ثانية.

يقارن مرسييه بين العربيّة والفرنسيّة، ليحّدد تميّز العربيّة بطبيعة روحيّة، وطريقة اِستدلاليّة، مختلفة عن طبيعة اللّغة الفرنسيّة، ويوجّه بذلك، جملة من القواعد التي على المترجم الاِلتزام بها: "[...] يجب على المترجم

أن يحوز بعض المفاهيم الدقيقة في العلوم والفلسفة والتاريخ والإتنوغرافيا والعلوم الدينيّة والتشريع المتعلقة بالمجتمعين وأن يجعلها في علاقة ببعضها البعض ويقارن بينها"(المرجع السابق:41-42).

ومن الصعوبات التي تواجهها التّرجمة من العربيّة إلى الفرنسيّة، ركاكة الأسلوب، وغياب علامات الوقف، وتعرّضها للتغيير من الناسخ، وسوء الإملاء والتّعابير المجازية، أو التّعابير الخاصة بمنطقة دون أخرى. وهي عوامل كلّها تتسبّب في غموض المكتوب وتحول دون فهمه الفهم السّليم: "إذن ليس في العربيّة عناوين تنبيهية، لا تبويب ولا فقرات[...] كل شيء في العربية يتتابع ويترابط" (المرجع السابق:45)

إنّ تجربة مرسيي تحمل نقد ترجمات تذكّر بانحرافات المترجمين المؤثّرة على وجهة نظر القاضي، أو المتسبّبة في سير الخصومة: "وتبدو المسألة أكثر خطورة فيما يتعلق بالغموض الذي يمكن أن يوجد في الأصل ذاته."(المرجع السابق).

6. **نقد التّرجمات ممارسة أو نقد ذاتي:** يرى عبد الحميد بن هدوقة أنّ "البقيّة الصالحة" (بوباكير:2000) هي ما يبقى من خيانات التّرجمة، وما يتعرّض إليه أيّ مؤلف، وهو ينتقل إلى ثقافة أخرى. فالأسلوب والصور، والتعرّجات التي يسلكها الكاتب غير ذات شأن، في رأيه، ما دامت: "البقيّة الصالحة هي ما يبقى بعد ما يُجرّد الأدب من لغته الأصليّة ومن الزخرفة والرونق والدقائق البلاغيّة، إنّها هي التي تربط بين البشر مهما كانت أوطانهم وأزمانهم ومستوياتهم الحضاريّة، وهي رابطة ما أروعها وما أجدرها بالحظوة والإكبار! "(المرجع السابق). لا يعترض، اِبن هدوقة، على ما يصيب العمل، ما دام نجاح المترجم عنده: "هو نجاحه في تحقيق متعة القارئ للنّص المترجم كمتعة القارئ في النّص الأصليّ"(المرجع السابق).

وهو في رأينا، يمزج أراء أصحاب نظريّة المعنى في تجريدهم للنّص من لغته، ويأخذ من آراء نظريّة المكافئ الدينامي، ولا نعرف أعن دراية، أم عن مجرّد رأي، في سعيها إلى إحداث التّأثير نفسه.

مع ذلك فرأي الكاتب، من الإسهامات الجزائريّة في إثراء حقل التّنظير للتّرجمة، وما أكثر الجهود المتفرّقة هنا وهناك، التي تلخّص اِهتمام الكتّاب بنقد التّرجمات، والنّظريات التّرجميّة. حتى وإن كانت بعض الآراء ما تزال، على عكس ما تطلبه التّرجمة، ونقد التّرجمات، لا تفصل التّرجمة كفرع مستقّل عن الأدب.

ولعلّ هذا الخلط بين النّقد الأدبيّ ونقد التّرجمات، كثيرا ما ينتشر في الصحافة مع تلك المقالات التي تقدّم للتّرجمات، بعد أن يستعير أصحابها في حديثهم عن التّرجمات أدوات النّقد الأدبيّ، وذلك اِنطلاقا من اِعتقادهم أنّ النّص المترجم نصا جديدا في لغة الوصل، ممّا يدفع بهم إلى نقده بعيدا عن مقارنته بالأصل، على نحو ما نجد في مقال "عنف المستعمِر ووعي التاريخ في "رقان حبيبتي" لفيكتور مالو سيلفا" فيقول في قراءته: تعتبر القراءة في رواية الفرنسي فيكتور مالو سيلفا "رقان حبيبتي" عودة بالوعي إلى فضاء التاريخ وإدراك أهميته بالنّسبة لاستمرار الذاكرة، ولعل الإستعمار من أقسى التجارب التي تعرّضت لها الذاكرة الوطنية..."(بن جلولي: http://oldquds.motif.net/?p=756414).

فلا يذكّرنا النّاقد بكون النّص الذي بين يديه ترجمة فهو يسميه، في أكثر من موقع، رواية "رقان حبيبتي" كأن يكتب: "تعمل هذه الرواية التي ترجمها الجزائري السعيد بوطاجين على نبش الذاكرة وبعثها من خلال السارد "لوي روني" الذي يتأسّس بداية كسارد واقعي"(المرجع السابق).

ولن نجد المقارنة التي يحتاجها نقد التّرجمات، إلاّ في أعمال أكاديميّة، ربما لإلمامها بمشكلات التّرجمة، كهذه الممارسة النّقديّة لعلي حمودين في مجلة "دراسات جزائريّة" لأعمال مارسال بوا. حيث عرض الناقد أهميّة وفاء المترجم لصور العالم كما قدّمها المؤلف، والصعوبات التي لاقاها بوا في نقل خصائص عالم الرواية من أمكنة وأسماء بما أسماه "مساحات البياض التي تكتسي ذهن المترجم وهو يتلقى النص الأصلي وأمكنته التي ليس لها مقابل في الذاكرة المعرفية"(حمودين:2009، 71).

فالمعرفة الواقعية سهّلت لبوا الترجمة، ممّا نحا بالباحث إلى الحكم على ترجمته بالجودة: "لقد فرضت الرواية باعتبارها نظاما تخييليا على المترجم أنماطا خاصة من التعامل، وهو ما دفع بمارسال بوا إلى تكثيف الجهد للوصول إلى عمق اللغة الروائية والحفاظ على روائيتها –إن صحّ القول – في النّص الفرنسي، ويبدو أنه نجح في ذلك إلى حد بعيد حيث لا نحس أننا غادرنا عالم الرواية ونحن نقرأ الترجمة"(المرجع السابق:71).

ومن هذه الممارسات كذلك، ما نجده في تجارب مترجمين، مكّنوا لنا الوقوف على الصعوبات التي اِعترضت عملهم في النّقل كما هو الحال عند:

أ–محمد ساري: في تجربة ترجمته للأدب الجزائريّ المعبّر بالفرنسيّة، حيث لا يقارن ساري بين اِختلاف الأساليب، إلاّ ليتحدّث عن أنّ اللّغة الفرنسيّة عند هؤلاء الكتّاب، ليست اللّغة التي يشعرون بها، فهم "لم يتعلّموا الفرنسيّة إلاّ بعد السادسة من العمر حين دخلوا المدرسة" (ساري:2016، 118). كما يخوض في الصعوبات المعجميّة التي تخلق فرقا بين اللّغتين كالتعدّد في الفرنسيّة، وفقر المعجم في العربيّة، نحو ما وجد عند بوعلام صنصال في "قسم البرابرة" من كثرة اِستعماله لمرادفات تعني كلّها الشرطيّ: (Policier, Poulaga, Limier, Flic, Poulet…) والتي تترجم بما يقابلها في العربيّة، أو باللّجوء إلى الدارجة باستعمال "حمّا للو" مثلا. (المرجع السابق) لا يستعمل ساري خطابا ترجميّا، فيعتمد على ذوقه، وتجربته القرائيّة.

إنّ في هذه الملاحظات، نقدٌ ضمنيّ، يفتح للنقاش والتّعليل من قبل المترجمين والنّقاد بما يقترحون من حلول وأفكار لتجاوز إشكالات التّرجمة في الجزائر.

ب–أحمد منور: يكشف منور عن طريقته في حلّ المشكلات التي اِعترضته في ترجمته لرواية la nuit des origines كـ "التعامل مع قاموس لغوي نوعي استعمله الكاتب في الجزء الباريسي من الرواية، وأعني به أسماء التحف القديمة التي يزخر بها النّص، الذي يجري قسم كبير منه بسوق الأشياء القديمة... "(المرجع السابق). ويعطينا مثال ترجمته لسوق (le marché aux puces)والتي واجهته فيها، عقبة المكافئ الملائم في الثقافة الوصل: "فإذا استعملت عبارة "الأشياء القديمة" أو "سقط المتاع" فإنّي أكون قد نزعت عنها الجانب القيمي، فليس كل قديم ذا قيمة، وإذا اِستعملت عبارة "التحف القديمة" أكون قد أسبغت على كلّ الأشياء القديمة قيمة كبيرة، أما إذا ترجمتها بـ "سوق البرغوث" فإنّ هذا سيكون مضحكا" وهذا لأنّ المكافئ فاقدٌ لمعناه في ثقافة القارئ العربيّ (المرجع السابق).

إنّ هذه التّجارب، فيها ممارسة فعليّة لنقد ترجمات، حتى وإن كان نقدا، تعوزه المقارنة والمصطلحات المناسبة.

الخاتمة: حاولنا أن نجمّع بعض مراحل ومظاهر التّرجمة ونقدها في الجزائر، بدءا من القواعد التي وضعها القديس أوغسطين، ونحن نعلم يقينا، أنّها تجارب فرديّة، لا يمكن بأيّ حال اِعتبارها حركة نقديّة كبرى، إنّما يسمح لنا النّقد الذي استنتجناه من جهود اِبن شنب وأحمد رضا حوحو، وبعض المترجمين المعاصرين، حتى وإن لم يمتثل لمنهجيّة النّظريات التّرجميّة، إلى عدّ هذه الإِنطباعات من اِرهاصات نقد التّرجمات في الجزائر.

تدعم رأينا الممارسات الصحافيّة، وما تعرّض له أصحابها من نقد، فهذه النّماذج تجسيد لنقد ترجمات جدير بالتّثمين والتّكريس، مثله مثل الحلول الذاتية لبعض المترجمين، والكثير من النّقد المتفرّق بين صفحات الجرائد والمجلاّت والكتب. الذي يدعو الباحثين إلى الإِهتمام به، ليكون أساسا للتأريخ لنقد التّرجمات في الجزائر.

قائمة المراجع:

الكتب

1. بكوش. محمد الصالح. الترجمة في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسيّ 1830-1930، دار التنوير، الجزائر،2013

2.خرفي. صالح، شهيد الثورة الجزائرية في الحجاز: أحمد رضا حوحو، دار الغرب الإسلامي 1992

3.مرسييه. أرنست، الترجمة في الجزائر. تر. حسين خمري، دار أقطاب الفكر، الجزائر ،2006

4.لوفيفر. أندري، الترجمة التاريخ الثقافة (ت: د. أحمد مومن)، الألمعية للنشر، الجزائرط1، 2011

5.Ballard. Michel, De Cicéron à Benjamin (traducteurs, traduction, réflexions), Presses De L'Université de Lille3 1992

6.Mugurus. Constantinescu, Pour une lecture critique des traductions, réflexions et pratiques, L'Harmattan, 2013

المقالات :

1.بوباكير. عبد العزيز، البقيّة الصالحة، تداعيات، الخبر 2000/10/4عدد83

2.بن جلولي. عبد الحفيظ، "عنف المستعمِر ووعي التاريخ في "رقان حبيبتي" لفيكتور مالو سيلفا " (http://oldquds.motif.net/?p=756414)

3 .حمودين. علي، ترجمة: مارسيل بوا، مجلة دراسات جزائرية جامعة وهران1، 2009

4. ساري. محمد، تجربتي في ترجمة الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة إلى العربيّة، مجلة علوم اللّغة، مجلّد2، عدد1

5. شريبط. أحمد، أحمد رضا حوحو والشافعي2، صوت الأحرار،2014/10/07
(https://www.djazairess.com/alahrar/120548)

6.منور. أحمد، تجربتي في ترجمة "ليل الأصول" لنور الدين سعدي، معالم العدد الأوّل،2009/10/01

المواقع:

1.Wikipedia :
(https://ipfs.io/ipfs/QmXoypizjW3WknFiJnKLwHCnL72vedxjQkDDP1mXWo6uco/wiki/Translation_criticism.html)

الرسائل:

1.بوخال. ميلود، نقد الترجمات عند العرب من التأسيس إلى التأصيل، رسالة دكتوراه، قسم التّرجمة، جامعة السانية وهران 2013

2.بليل. وداد، الترجمة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830م-1962م، رسالة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة العربي بن مهيدي 2017

3.عزيري. بوجمعة، الترجمة الأدبيّة بين الأمانة والتصرّف: دراسة تحليلية لثلاث ترجمات (ترجمتان عربيتان وترجمة أمازيغية) لرواية مولود فرعونle fils du pauvre ، رسالة دكتوراه، معهد التّرجمة، جامعة الجزائر2، 2014-2013م